أقمصَـــرٌ وَعـــورٌ وَصَلَعٌ فى واحـــد
شَـــواهدٌ مقبـــولةٌ ناهيـــك من شَواهد
تُخـــبرنا عن رَجل مُستعمل المقافـــد
أقمـــأه القفـــد فأضْحى قائماً كقاعد (١)

فجمع فى لوحة واحدة قصراً وعوراً وصلعاً لرجل واحد ، وجعله قميئاً تزدريه العين وتعافه النفس ، ومع ذلك يضحك القارئ ، لخفة هذا الشعر فى الوزن واللفظ والصورة ، فيشعر بروح الشاعر تضحك لما تصفُ قبل أن يضحك الناس . ويلح أبو نواس على الصلع فيقول :

يَا صَلعة لأنى حفص ممردة كأنّ ساحتهـــا مرآة فولاذ
ترنّ تحتَ الأكف الواقعات بها حتّى ترنّ بها أكناف بغداذ

ولعل الذين أصابهم صلع شديد يجزعون من وصف الشاعر ، ويتلمسون مكان ذلك من رءوسهم خوفاً من أن يصيبهم رشاش هذا الرسم ، فهو يشبه الرأس بمرآة فولاذ ترنّ تحت الأكف فتدوّى بها أرجاءُ بغداد على سعتها . ونلاحظ أن ابن الرومى يشتهى أن تقع الأيدى على المهجوّ فى أكثر أوصافه ، كأنه لا يقنع بما يرسل عليه لسانه من ضربات ، يريد أن يشرك بها غيره . وهو حين يقولُ فى اللحى لا يقلّ عن وصفه للصلع فانظر إلى صورة اللحية بزيشة ابن الرومى :

إنْ تَطلْ لحية عليك وَتعرُضْ فالمخـــالى معرُوفـــةٌ للحمير
علقَ اللهُ فى عذارَيكَ مخـــلا ةً ولكنهـــا بغير شـــعير
لوْ غـــدا حُكمها إلى لطارتْ فى مهبّ الرياح كل مَطير

فهى أشبهُ بالمخلاة عُلقتْ فى عذار هذا الرجل ، ولكنها خالية من الشعير فلا نفعَ فيها ، ولو كان أمرُها إليه لأطارها فى مهبّ الرياح كل مطير ، ولأصحاب اللحى الطويلة الشاذة أن يروا رأيهم فى هذا الشعر ، وأن يتلمسوا فيه موقعَ الانتقام والتشفى . وقبح المنظر يوحى إلى هذا الشاعر ألواناً وألواناً من الهجوم والتسلى يقول فيها :

تَخاله أبداً من قُبح مَنظره مُجاذباً وَتراً أو بالعاً حجرا

(١) أقمأه : أى صغره وأذله ، القفد : صفع القفا بباطن الكف .